

جلود ثعالب  
وذئاب معلقة

كنيسة محاطة بجبال شاهقة



موسيقى تراثية عن مدخل كاكاراد

## (الزمان) تتجول في بلد الكنائس والمتاحف والمشاهير (6)

الجبل يتمخض كاكاراد والقصر العظيم في كارني

# جلود الذئاب والثعالب معلقة ضمن مقتنيات تراثية بينها السجق البرتقالي

(تلفرك) يسحب قاطرات تتسع لـ 200 شخص ويسير مسافة 5 كيلو مترات

### أحمد عبد المجيد

يريفان

وجها أوروبية، فإنها تندفع إلى الاماكن، الأبعد التي قد يتطلب الوصول إليها الإقامة بضع ليال إضافية، وبما لا يؤثر على المدة الشهيرة أو الدورية التي يتم ترتيب البرامج فيها. وهذا لا يعني أن الوجهات السياحية لا تقيم أهمية للمناطق الثقافية القريبة، ومنها أرمينيا لكن التسعير بالمشاريع الاستثمارية الجديدة يخضع إلى حملات لا تنظمها الحكومة المركزية بل الجهة المستثمرة وهي تستفيد من المطبوعات وانتشار شبكة الإنترنت وتتحقق هذه الغاية. وقد وقع نظري مصارفة على مجلة سياحية ملونة عنوانها أرمينيا، وقرأت إعلاناً يدعو السياحيين إلى زيارة يريفان لقاء 99 دولاراً فقط، وهو مبلغ زهيد جداً يشمل الإقامة وتذاكر السفر، وتحت الجبهة المعلقة في استقطاب سياح من هذا البلد العربي الذي يحتفظ بمكون أرميني قديم. وعلمت في داخلي على الإعلان بالملي العربي القديم أن (أرمينيا كمن ينقل التمر إلى هجر). وقبل أن اختتم هذا الفصل على التنبؤ

بالدور العظيم الذي أدته أرمينيا في حفظ التراث الثقافي العالمي في مجال المخطوطات، ففي رحابها يتم حفظ أقدم المخطوطات، ويعد ماتينا داران في عداد أغنى المشاهد بالمخطوطات في العالم، وفيه 1700 مخطوطة تغطي مجالات التاريخ والجغرافيا والفلسفة والطب والقانون والكيمياء وعلم الفلك وغيرها، فضلاً عن المخطوطات المكتوبة باللغات العربية والفارسية واللاتينية والهندية واليونانية. وتم بناء هذا المعهد الكنزي في العام 1959 على عهد الحقبة السوفياتية وفق أساليب هندسية أرمينية. واطلق عليه اسم ماتينا دران تخليداً لمسيروب ماشدوش واضع الأبجدية الأرمينية. (يتم)



المسجد إلى الجهة الأخرى من الجبل

صعباً لأن الوقت متأخر ويحتاج الراغب إلى انتظار ثلاثة أشهر كي يتمكن من الحجز. كما تقول المعلومات إن عربات هذا الشبه كبيرة على غير العادة إذ تتسع كل واحدة منها إلى نحو 200 شخص، فيما تنقل العربات التقليدية أربعة أشخاص في الغالب. وقد ركبت (التلفرك) للمرة الأولى أنوف طعم هذا اللحم، الذي حسبته لحم دجاج لأن الرقبة كانت ضعيفة جداً أشبه بعق نجاسة. والمفاجأة الأخرى التي وجدتها في هذا المطعم هي ذبابة أو أكثر كانت تتلطف على المائدة، ما يعكس قلة الاهتمام بالنظافة وسط بيئة خضراء نادرة. ومن المظاهر التي وجدتها في الاماكن الأخرى من العاصمة زحصف مقاهي السراكل، واقبال نساء وشباب على تعاطي تدخينها. ولأنني لم أجربها أبداً كما لم ادخن طوال حياتي، فاني تمنيت ألا يتم التشجيع على افتتاحها بالكثرة التي هي عليها في بيروت أو دمشق أو عجمان أو بغداد، التي تخرّب الصدور والبيئة وتضر الصحة العامة أكثر من السجائر. ومنلما تصعب على الواحد، تغطية جميع الكنائس والأديرة والاماكن الأثرية في أرمينيا لكثرتها، تصعب أيضاً زيارة جميع المنشآت السياحية ذات الطبيعة الاستثمارية لكثرتها. وكانت لدي رغبة بزيارة موقع تاباتو الذي يشتهر بأكبر (تلفرك) في العالم، فهو - قطار معلق - يسير في الفضاء بين نقطتين تبعد الأولى عن الثانية مسافة خمسة كيلومترات ويعتقد أنها أطول مسافة لسير عربات (تلفرك). وتقول مصادر إن شركة سويسرية استثمرت هذا المشروع السياحي بـ 80 مليون دولار، وإن الوصول إلى المدينة التي يقع فيها يستغرق نحو أربع ساعات بالسيارة عن العاصمة. أما سبب تعذر زيارتنا إليه فهو الحجز المسبق، فقد حاولنا الحصول على موعد لكن ذلك كان

هل انت عربي؟ وتعارفنا فإذا هو سوري وطننته أرمينيا فأفاد بأنه مسلم من مدينة حلب السورية، وأنه قدم إلى أرمينيا منذ ست سنوات ويقدم فيها وينظم سفرات سياحية إلى القادمين إلى البلد من دول أخرى باستخدام سيارته الشخصية. وقال (أنه افتتح مكتباً صغيراً لهذا الغرض) بمساعدة سيدة أرمينية تجلس إلى جواره وعرفني عليها فإذا تكشف ابتهامتها عن أسنان تعاني من متاعب، وكنت ميلاً إلى مواصلة حديثي معه لاستقاء مزيد من المعلومات عن أرمينيا وكناستها وأثارها وطبيعتها يومياتها. فالرجل (ابن سوق) وتحصلت لديه خبرة مفيدة، إلا أن صوت صاحبي حملني إلى ترك هذا الرجل وإنهاء الحوار معه. المشهد المختلف نسبياً في المبيعات المعروضة عند سفح الكنيسة يتمثل بعرض جلود الثعالب والذئاب، أنها مسلوخة وتم تنظيفها بعناية وتشكل مصدر إغراء لبعض الزوار. ولأنني لا أهوى هذه النماذج من أشكال الحيوانات البرية، فاني اكتفيت باللقاط صورة لي معها. ولأنني لا أجد لها قيمة في المنطقة غير ماثولة في الغالب، والسؤال إذا كانت كارني جبلية ومحاطة بالغابات فلماذا تم اختيار هذه الكنيسة فيها وعلى هذا الارتفاع الشاهق؟ هل أنها للانقطاع عن الناس واللوح بالوحدة أم أنها محاولة رمزية لخلق ارتد ديني لإحياء لاحقة تحق امامه مشدودة ومبهورة ومحاطة بالأسئلة والغوض؟ يمدت وسط هذه الكنيسة جدول ينساب فيه الماء رقراقاً سريعاً، يتخذ مجراه نازلاً إلى نقوب مبهولة النهاية، وتحسباً أيضاً فهناك أبار لا يشك في أنها كانت مياه تستخدم في سد احتياجات القساوسة والمقطعين إلى العبادة. وإذا اردنا أن نتحدث عن أرمينيا فاننا نحتاج إلى سجلات، وصدقا قالت السيدة (لورا) التي غابت عنا في هذا المشوار أن (هناك كنائس اعظم في عموم أرمينيا ولاسيما في مناطق سناهن في الناقالدي وكنيسة يورخان ومعناها الكنيسة الجديدة التي تضاهيها كنيسة أخرى في مكارفان). وعلى مقربة من الكنيسة تم تشييد مطعمين صغيرين يطلان على واد سحق، ويمكن من خلال اماكن الجلوس أن يرصد السائح مبنى الكنيسة، الذي نصب فوق قمم جبال مطلة عليه ثلاثة صلبان بعيدة توحى بالانتشار والسلطة المطلقة مع فارق جغرافي عن كنائس ضاربة في القدم تحدث عنها نيقولاس كانترزكي في

الميلاد وراس السنة. ويحفل مدخل كنيسة كاكاراد بعد زيارتنا لها، عبر كارني بالاشياء التراثية المصنوعة بايدي التراثيين الأرمينيين، من المسابح الخشبية التي تستخدم صوراً كنسية إلى الفواكة المجففة ومنها السجق، الذي يذكرنا بمثيله المصنوع في مزارع الموصل أو السلجمانية وبالوان منها الأبيض والأسود، ورايت البرتقالي في مدخل كنيسة كاكاراد الذي يبدو أنه مصنوع من عصير المشمش، القريب من القمر الدين المعروف عندنا والمصنوع من أفضل أنواع المشمش (الذهبي) السوري. تلاف الطريق المرقق الذي يقود إلى الكنيسة ففاجئت تصمير لآفت لزوار يلقون قطعاً نغدياً إلى أعلى حيث تستقر (روازين) أو ما شابه يعتقد أن استقرار قطعة النقود عليها يلبي نذراً أو يحقق أمنية، وهكذا يتم جمع مئات القطع منها كل يوم. وفي كنائس أخرى رايت الأبار المحفورة منذ سنين بعيدة قد تمت تغطيتها بزجاج سميك، فيما يقوم بعض الزوار جاهدين بالبقاء

من شدة عوامل التعرية. ولا يعدو الجزء الثابت من القصر حالياً، كونه بناء مساحته نحو 100 متر فقط. ولا تعرف بالضبط أين ذهبت بقية أركانها وملحقاته وأحسب أن انهياراً حدث فأسقطها في واد سحق أجرد، واختلطت صخوره بجقبة صخور الوادي العملاقة. تبدو معمرة جداً، برغم حدوث إعادة هيكلة القصر إلى ذاكرتي صورة قوس النصر الشديد على جادة الشانزيه في باريس، التي

اقترح علينا (كامو) أن نذهب إلى كارني، وهي آثار قصر قديم يقع فوق قمة جبل. ورايت أن معظم مثل هذه الآثار والكنائس يختار قمع الجبال موطناً له. وبالنسبة للكنائس كدور للعبادة لطلما شغلني وغلغلتها المعمارية الباذخة وانزواؤها في أعالي الجبال بهدف الاعتزال. وربما يجد القساوسة في الإقامة فيها نوعاً من السكنة المفقدة وسط ضجيج المدن، وكذلك لشعور بالسمو والرفعة، واسمياً أن بعض جبال أرمينيا تناطح الغيوم، من شدة ارتفاعها عن سطح الأرض. وديلتنا أنا وصديقي أبو السعد في جبل فأكبشة عن المعاني التي توحى بها هذه الكنائس البعيدة والعصية على التسلق بالطرق الاعتيادية. فبعضها ينقطع النفس إذا نويت بلوغ أعلى جزء فيها، وهي تدعو للتساؤل عن أسرارها الروحية ومكوناتها المعمارية، أنها لا تبني بالطرق والوسائل التقليدية، وربما تحتاج إلى جيوش من البنائين لانجازها. وفي كارني نحتت الكنيسة برمتها من قطعة عملاقة من الجبل، بحيث يتعذر على الزائر اكتشاف أي فواصل بين أحجار الجبل والقطع الحجرية المشيدة والمزينة بالزخارف الهندسية والحروفية أحياناً. وفي كنيسة كاكاراد رايت قطعة زخرفية تقرب جداً من توظيف حرف الحاء داخل شكل دائري يذكرنا بالظفرانيات الموضوعه فوق ابواب أو شبابيك المساجد الإسلامية الكبرى. ولا



عطلبان رموز منحوتة في قطع من الحجر التراثي

استبعد هذا التأثير إذا عرفنا أن كنيسة كاكاراد شيدت عام 1581 وتم تاهيل الطريق إليها عام 2014 وفقاً أنها أعجوبة معمارية لا تقوى سلطة ضعيفة على تشييدها إلا بالتمالك وسائل تقنية غير معروفة، أن بناءها ينطوي على أسرار، أحدها مجموعة الملحقات المدرجة على خريطةها ومنها طريقها الصعب، ومنها عامل الجيولوجيا المعقد الذي يعكس عقبرية الإختيار المكاني وحكمة الأثرارة الطبوقسية. فالإحاطة بالأجواء وطبيعة البيئة كمحلات معمارية مدنية تعق خبير العصر الحديث. في دراستها وليس بمستبعد أن تكون حقبة بناء هذه الكنيسة سبقت أو مهدت لجميع ما تلاها

معرفة صنفاها أو اسمها. والدخول إلى آثار قصر كارني يتطلب قطع تذكرة سياحية قيمتها 1500 درام، وهو مبلغ لا يوازيه إلا بطاقة الدخول إلى متحف الكاسكاد في شارع ميشوتوس. والقصر المذكور يستوحي الشكل المكعب وترفع سقفه والقوس المثلث الذي يهض فوق بوابته الرئيسية المنفتحة على فضاء المقدمة، ثمانية أعمدة امامية وخلفية وستة أعمدة من الصلغ الثالث ومنها بالنسبة للصلع الرابع، وميزة الجيني أنه مشيد على ارتفاع يصل إلى نحو سبعة أمتار ويتطلب صعودها تسلق درجات تبدو مرمرية لمساء

زرتها عام 2006 ويشتهر هذا الشارع أو الجادة بمقاهي الرصيف التي تقدم شتى المشروبات، وأتحت الفرصة لي لأحتساء القهوة في أحد تلك المقاهي اثر دعوة تلقيتها للقاء الصديق الأستاذ نيقولا الفرزلي، بعد أن زارني في فندق ميراج الشهير واصطحبني بسيارته إلى هناك. وصادف أن العام الجديد كان على الأبواب وكانت 2007 مظاهر التهيجة للاحتفال به قد بدأت مبكرة بنصب شجرة ضوئية عملاقة وتزيين الجادة بالمصابيح الضوئية التي ضرب عددها رقماً قياسياً. وأظن أن تلك السنة شهدت احتفالاً غير مسبق بانارة كذا مليون مصباح ليلاً عبيد

المحيطه بفتحة البئر، قبل ان تسقط وتستقر في قعره. وهكذا ايضا تتحول هذه الأبار، الجاف منها، والمرح بعضها بمياه نقية جدا إلى قاصات أو حافظات نقود تجمع الملايين من القطع النقدية مما يشكل ثروة يتم توظيفها في خدمات الكنيسة أو سد احتياجات رجال الدين القانمين عليها ناهيك عما يرددها أيضاً من موارد اقامة حفلات التعميد والاعراس. وهو مورد غير مباشر ولا يسجل رسمياً كرسوم ملزمة. تجولنا في فناء الكنيسة الواسع واضطرتت إلى الجلوس على مصطبة من خشب الأبنوس القديم، وصادف أن سألني أحدهم

عندما يسألني أحدهم عن كنائس أرمينيا، فأني أكتفي باللقاط صورة لي معها. ولأنني لا أجد لها قيمة في المنطقة غير ماثولة في الغالب، والسؤال إذا كانت كارني جبلية ومحاطة بالغابات فلماذا تم اختيار هذه الكنيسة فيها وعلى هذا الارتفاع الشاهق؟ هل أنها للانقطاع عن الناس واللوح بالوحدة أم أنها محاولة رمزية لخلق ارتد ديني لإحياء لاحقة تحق امامه مشدودة ومبهورة ومحاطة بالأسئلة والغوض؟ يمدت وسط هذه الكنيسة جدول ينساب فيه الماء رقراقاً سريعاً، يتخذ مجراه نازلاً إلى نقوب مبهولة النهاية، وتحسباً أيضاً فهناك أبار لا يشك في أنها كانت مياه تستخدم في سد احتياجات القساوسة والمقطعين إلى العبادة. وإذا اردنا أن نتحدث عن أرمينيا فاننا نحتاج إلى سجلات، وصدقا قالت السيدة (لورا) التي غابت عنا في هذا المشوار أن (هناك كنائس اعظم في عموم أرمينيا ولاسيما في مناطق سناهن في الناقالدي وكنيسة يورخان ومعناها الكنيسة الجديدة التي تضاهيها كنيسة أخرى في مكارفان). وعلى مقربة من الكنيسة تم تشييد مطعمين صغيرين يطلان على واد سحق، ويمكن من خلال اماكن الجلوس أن يرصد السائح مبنى الكنيسة، الذي نصب فوق قمم جبال مطلة عليه ثلاثة صلبان بعيدة توحى بالانتشار والسلطة المطلقة مع فارق جغرافي عن كنائس ضاربة في القدم تحدث عنها نيقولاس كانترزكي في



كنيسة وسط غابات كثيفة



مطعم يطل على واد سحق



داخل كنيسة كاكاراد